# التوجه اللغوي في تفسير التقييد الكبير لأحمد البَسيلي

# The linguistic approach in interpreting the major restriction by Ahmed Al-Basili

سحنين علي
جامعة سعيدة الدكتور مولاي الطاهر (الجزائر)
Sahnineali20@gmail.com

تاريخ الاستلام: 03 /2025/12 تاريخ القبول: 07 /2025/12

**ملخص:**

تحاول هذه الورقة البحثية أن تسلط الضوء على كتاب مهم في التفسير، وهو كتاب التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد للعلامة أحمد بن محمد "البسيلي" (نسبة إلى المسيلة)[1]، الذي نحا فيه صاحبه منحى لغويا بارزا، حيث أفاد فيه من أبرز كتب التفسير اللغوية، وهي: الكشاف للزمخشري، والمحرر الوجيز لابن عطية، ومفاتح الغيب للرازي، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، ومن دروس شيخه ابن عرفة؛ لذلك فهذا الكتاب يتميز بغزارة المادة اللغوية المبثوثة بين ثناياه، وبذلك سيتركز الجهد المبذول في هذا البحث على مدى تنوع هذه المادة اللغوية وتعددها في هذا التفسير، وكذلك محاولة البحث في مصادرها وأشكال حضورها في تفسيره للآيات والسور القرآنية، لننتهي -في الأخير-إلى تحديد منهجه اللغوي الذي اعتمده في تفسير القرآن الكريم.

ومن هذا المنطلق يمكن طرح التساؤلات الآتية:

-ما أهمية كتابه التقييد الكبير في مجال التفسير اللغوي للقرآن الكريم؟

-ما طبيعة المادة اللغوية في كتابه؟ وما المنهج الذي سلكه في التفسير اللغوي للقرآن الكريم؟

-ما الأثر الذي تركه هذا الكتاب؟ وما مكانته ضمن الجهود التفسيرية في الجزائر؟

**الكلمات المفتاحية:** التفسير اللغوي، التقييد الكبير، البسيلي، التوجه اللغوي.

**Abstract :**

This research article aims to shed light on a major work of Quranic exegesis: *Al-Taqyeed al-Kabir fi Tafsir Kitab Allah al-Majid* (The Great Commentary on the Exegesis of the Glorious Book of God) by the scholar Ahmad ibn Muhammad al-Basili (of M'sila). In this work, the author adopts a remarkable linguistic approach, drawing upon seminal linguistic commentaries such as *Al-Kashshaf* by al-Zamakhshari, *Al-Muharrar al-Wajiz* by Ibn

ISSN: 2437-0282
EISSN 2830-8743

Atiyya, *Mafatih al-Ghayb* by al-Razi, and *Al-Bahr al-Muhit* by Abu Hayyan al-Andalusi, as well as the teachings of his mentor, Ibn Arafa. Consequently, this book is distinguished by the richness of its linguistic content. This research will focus on the diversity and richness of the linguistic material present in the commentary, exploring its sources and its manifestation in the author's interpretation of the Quranic verses and chapters. The ultimate goal is to identify the linguistic methodology he employed to interpret the Holy Quran.

In this context, the following questions can be posed:

What is the significance of *Al-Taqyeed al-Kabir* in the field of linguistic interpretation of the Holy Quran? What is the nature of the linguistic material in his work? What methodology did he employ to interpret the Holy Quran?

What was the impact of this work? What is its place among interpretive works in Algeria?

**Keywords:** Linguistic interpretation, Al-Taqyeed Al-Kabir, Al-Basili, linguistic approach.

## 1- المادة اللغوية في كتاب تفسير التقييد الكبير:

### 1-1-مصادر المادة اللغوية في تفسير التقييد الكبير:

تعددت المصادر اللغوية التي استمد منها "البسيلي" وتنوعت في تفسيره للقرآن الكريم، هذا وإن كانت المادة العلمية واللغوية التي قيدها وجمعها في الكتاب تعزى نسبة كبيرة منها، إن لم نقل جلها إلى شيخه "ابن عرفة" حسب التصريح الذي ورد منه في مقدمة الكتاب: "هذا تفسير على كتاب الله المجيد، قصدت منه جمع ما تيسر حفظه، وتقييده من مجلس شيخنا أبي عبد الله محمد بن عرفة رحمه الله تعالى"[2]. لكن ذلك لم يمنع "البسيلي" من العودة إلى كتب ومؤلفات المفسرين واللغويين القدامى، من أجل توسيع معارفه بالإضافة والزيادة على كلام شيخه من الفوائد والنكت والتنبيهات في التفسير واللغة والنحو والبلاغة، وهو ما أشار إليه في المقدمة - كذلك- بقوله: "...زيادة على كلام المفسرين وغيرهم وأضفت إلى ذلك في بعض الآيات شيئا من كتب التفسير مع ما منح به الخاطر هذا مع ممانعة ما اقتضته الحال من الذهن الجامد والفكر الخامد..."[3].

من هذا المنطلق نجد "البسيلي" يستشهد بآراء المفسرين اللغويين، وينقل أقوالهم، ويستحضرها في إيضاح المسائل التفسيرية المتعلقة باللغة والنحو والبلاغة وشرحها. ومن أهم هذه المصادر التي أفاد منها "البسيلي" بشكل كبير، نذكر في مجال التفسير كتب: "تفسير الكشاف عن حقائق

التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" للزمخشري[4]، و"تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" لابن عطية[5]، و"التفسير الكبير ومفاتح الغيب" للفخر الرازي[6]، و"تفسير البحر المحيط" لأبي حيان الأندلسي[7]، و"تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن" للطبري[8]، و"تفسير الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي[9]. وفي مجال اللغة والنحو نذكر: "الكتاب" لسيبويه[10]، و"سر صناعة الإعراب" لابن جني[11]، و"التسهيل"[12] لابن مالك النحوي الأندلسي، و"المصباح" لبدر الدين بن مالك الشهير بابن الناظم[13]، و"مغني اللبيب عن كتب الأعاريب" لابن هشام الأنصاري النحوي المصري[14]. أما في ميدان البلاغة نذكر:"مفتاح العلوم" للسكاكي[15]، و"دلائل الإعجاز" للجرجاني[16]...إلخ.

ومن أمثلة هذا الاستشهاد والنقل نذكر على سبيل التمثيل، ما نقله عن الزمخشري في سبب جمع الظلمات وإفراد النور في قوله تعالى:{**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (1)**}**. الأنعام/1.**فأجاب: بأن الظلمات كثيرة مختلطة، والنور واحد[17]. وينقل عنه أيضا، عند تفسيره لقوله تعالى: {**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ**} **البقرة/222.**قوله:"فإن قلت: ما بال {يسألونك}جاء بغير واو ثلاث مرات، ثم مع الواو ثلاثا؟ قلت: كان سؤالهم عن تلك الحوادث الأوّل وقع في أحوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لأن كل واحد من السؤالات سؤال مبتدأ، وسألوا عن الحوادث الأخر في وقت واحد، فجيء بحرف الجمع لذلك، كأنه قيل يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر، والسؤال عن الإنفاق. والسؤال عن كذا وكذا"[18].

ومما استدل به من أقوال ابن عطية نذكر تفسيره لقوله تعالى: {وَلَا تَهِنُوا}في سورة آل عمران، الآية 139، حيث قال: "قال ابن عطية: هو من وهن، ومن كلامهم المؤمن هين ليّن"[19]. لكنه عند العودة إلى الأصل نجده يتصرف في كلامه، ويروي عنه بالمعنى، في تفسيره لمعنى (تهنوا)، وفي هذا السياق يقول ابن عطية: "والوهن: الضعف، واللين والبلى، ومنه: {**وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي**} **مريم/4.** ومنه قول زهير: فأصبح الحبل منها واهنا خلقا. ومن كرم الخلق ألا يهن الإنسان في حربه وخصامه، ولا يلين إذا كان محقا، وأن يتقصى جميع قدرته ولا يضرع ولو مات، وإنما يحسن اللين في السلم والرضى، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: (المؤمن هين لين، والمؤمنون هينون لينون)...وأما قولهم إذا عز أخوك فهن، فالرواية الصحيحة المعنى فيه بكسر الهاء بمعنى: واضعف ضعف المطواع، وأما الرواية بضم الهاء فهي أمر بالهوان..."[20].

ISSN: 2437-0282
EISSN 2830-8743

ويكثر نقله واستشهاداته عن أبي حيان، ومن ذلك تعريفه لعلم التفسير انطلاقا من كلامه في البحر المحيط. يقول "البسيلي" في مقدمة "التقييد الكبير": "قال الشيخ أبو حيان في تفسيره بالمجرد: التفسير لغة: الاستبانة قاله ابن دريد. واصطلاحا: علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية، والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتميمات لذلك. فقولنا: علم: جنس لسائر العلوم. وقولنا: يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن: هو علم القراءات. وقولنا: ومدلولاتها: هو علم اللغة. وقولنا: وأحكامها الإفرادية والتركيبية: يشمل علم التصريف، وعلم الإعراب، وعلم البيان. وقولنا: ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب: يشمل ما دلالة التركيب عليه بالحقيقة، وما دلالته عليه بالمجاز فإن التركيب قد يقتضي بظاهره شيئا، ويمنع من الحمل على ذلك الظاهر مانع فيحمل على غير ظاهره، وهو المجاز. وقولنا: وتتميمات لذلك: هو مثل: معرفة الناسخ، وسبب النزول، وذكر القصة، ونحو ذلك"[21].

أما نقولاته عن أئمة اللغة والنحو والبلاغة، فنجده كثيرا ما يستدل بأقوال سيبويه وابن هشام وابن مالك وعبد القاهر الجرجاني، ومن ذلك استحضاره لقول سيبويه في تفسيره للبسملة: "قول سيبيويه: الأفعال أمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء"[22].ومن ذلك استدلاله بقول ابن هشام في الوقف على {ريب} في بداية سورة البقرة. يقول: "{**لا ريب فيه**}. ابن هشام المصري: قول بعضهم: الوقف على {ريب}، يرده قوله تعالى في سورة السجدة {**لا ريب فيه من رب العالمين**}"[23]. وكذلك استشهاده بقوله في إعراب {**كأيّن**} في تفسير الآية 146 من سورة آل عمران: {**وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ**}. يقول "ابن هشام المصري {**كأيّن**}: اسم مركب من كاف التشبيه وأيٍّ المنونة، ولذا جاز الوقف عليها بالنون؛ لأن التنوين لما دخل في التركيب أشبه النون الأصلية؛ وكذا رسم في المصحف نونا، ومن وقف حذفه اعتبر حكمه في الأصل، وهو الحذف والوقف. وتوافق "كأي"، "كم" في خمسة أمور: الإبهام، والافتقار إلى التمييز، والبناء، ولزوم التصدير، وإفادة التكثير تارة وهو الغالب نحو: {**وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ**}، والاستفهام أخرى، وهو نادر، ولم يثبته إلا ابن قتيبة، وابن عصفور، وابن مالك، واستدل عليه بقول أبي بن كعب؛ لابن مسعود رضي الله عنهما: "كأي تقرأ سورة الاحزاب آية"؟. فقال: "ثلاثا وسبعين". وتخالفها في خمسة أمور: أنها مركبة، وكم بسيطة على الصحيح خلافا لمن زعم أنها مركبة من الكاف، و"ما" الاستفهامية ثم حذفت ألفها؛ لدخول الجار، وسكنت ميمها؛ للتخفيف؛ لثقل الكلمة بالتركيب. وكون مميزها مجرورا بـــ "من" غالبا حتى زعم

ابن عصفور لزوم ذلك. ويرده قول سيبويه: "وكأي رجلا قد رأيت" زعم ذلك يونس إلا أن أكثر العرب لا يتكلمون به إلا مع "من". وكونها لا تقع استفهامية عند الجمهور. وقد مضى. ولا تقع مجرورة خلافا لابن قتيبة، وابن عصفور أجازا بـ "كأيّن تبيع هذا الثوب"؟. وأن خبرها لا يقع مفردا"[24].

**1-2-توجهه اللغوي في التفسير، وغزارة المادة اللغوية وتنوعها في الكتاب:**

أبان "البسيلي" عن توجهه الواضح، ومنهجه اللغوي في مقدمة تفسيره، مبينا الأدوات المنهجية والمفاتيح الأساسية التي يحتاجها المفسر ويعول عليها كثيرا في اقتحام هذا المجال وولوج عوالمه، وهي ضرورة إلمامه بعلوم اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة، فضلا عن معرفته بكلام العرب وبالقراءات القرآنية المختلفة، ومما يؤكد توجهه اللغوي في "التقييد الكبير" إشارته إلى الأوجه التي ينبغي مراعاتها لدى الإقبال على تفسير كتاب الله تعالى، وقد دفعه ذلك إلى تبني كلام "أبي حيان" في ضبط هذه الأوجه المتعلقة بالنظر في تفسير كلام المولى عز وجل، والتي يشترط توفرها في المفسر. ومن هذه الأوجه ما يتعلق بعلوم العربية،وهي كالآتي[25]:

-الوجه الأول: علم اللغة اسما وفعلا وحرفا، فالحروف لقلتها تكلم عن معانيها النحاة، فيؤخذ ذلك من كتبهم، وأما الأسماء والأفعال، فتؤخذ من كتب اللغة.

-الوجه الثاني: معرفة أحكام اللغة للكلمة العربية من جهة إفرادها، ومن جهة تركيبها، ويؤخذ ذلك من علم النحو.

-الوجه الثالث: معرفة كون بعض الألفاظ أو بعض التراكيب أحسن، وأفصح، ويؤخذ ذلك من علم البيان.

-الوجه الرابع: معرفة الإجمال، والتبيين، والعموم، والخصوص، والإطلاق، والتقييد، ودلالة الأمر، والنهي، وما أشبه ذلك، ويختص أكثر هذا الوجه بأحكام القرآن، ويؤخذ من أصول الفقه، ومعظمه يؤخذ في الحقيقة من علم اللغة إذ الكلام على أوضاع العرب لكن تكلم فيه غير اللغويين، والنحويين، ومزجوه بأشياء من وجوه حجج العقول.

-الوجه الخامس: اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص أو تغيير حركة أو إتيان بلفظ بدل لفظ أو ما يتواتر أو آحاد، ويؤخذ هذا الوجه من علم القراءات.

أما بالنسبة للمادة اللغوية في الكتاب فقد كانت غزيرة ومتنوعة، لذلك تصعب الإحاطة بهافي هذه الدراسة، لكن ذلك لم يمنع من تمييزها والكشف عن مدى تنوعها، واستحواذها على حيز

ISSN: 2437-0282
EISSN 2830-8743

كبير من هذا التفسير الذي يمكن تصنيفه في خانة التفاسير اللغوية بامتياز. من هذا المنطلق قاد النظر، ومعاينة المادة اللغوية في الكتاب، وكذا تتبع مختلف أبوابها وقضاياها إلى أخذ تصور عام عن التوجه اللغوي في هذا الكتاب، ومحاولة استعراض الخطوط العريضة للمنهج اللغوي الذي سلكه "البسيلي" في تفسيره لكتاب الله عز وجل. وفيما يلي يمكن استعراض أهم الخطوات المنهجية التي شكلت طريقا واضحا، وملمحا عاما ميّز "البسيلي" في تعامله مع الآية القرآنية، ورافقه على طول صفحات تفسيره:

**1-الوقوف على معاني المفردات القرآنية وتحديد أصلها الاشتقاقي وميزانها التصريفي:**

بدت هذه الخاصية بشكل واضح في تفسير "البسيلي"؛ لأنه وجد ضالته في تحديد معاني الآيات القرآنية، وإدراك مدلولاتها المتنوعة المتوارية خلف التراكيب اللغوية ومختلف الأسيقة القرآنية؛ لذلك تجده يقف أولا على معاني المفردات والكلمات، والبحث عن أصلها الاشتقاقي، وميزانها التصريفي، وجذرها اللغوي الذي تنحدر منه، فمثلا عند تفسيره للآية 231 من سورة البقرة، يقول: "{**فبلغن أجلهن**} أي: قاربن بلوغه"[26]. وفي معنى {إلحافا} في قوله تعالى في سورة البقرة الآية: 273:{**لا يسألون الناس إلحافا**}، يقول: "و(إلحاف) مصدر أي: يلحفون إلحافا أي: يبالغون في شدة صبرهم، وتجلدهم على الفقر"[27]. وفي الآية 233 من السورة نفسها {**والوالدات يرضعن أولادهن..**} يقول: "...قيل: {**الوالدات**} جمع سلامة محلى بالألف واللام، فيفيد العموم والكثرة، و{**أولاد**} جمع قلة، وإذا كان {**الوالدات**} كثيرات فأولادهن كذلك، فكيف تفهم الآية؟ أجيب: بأن جمع القلة وضع موضع جمع الكثرة...وقال: {**والوالدات**} ولم يقل: والنساء!. إشعارا بالوصف المناسب للحكم. وكذا قوله : {**وعلى المولود له**}. ولم يقل على الأب. وقال: {**فصالا**} أي: فطاما"[28].

وأجاب عند تفسيره لقوله تعالى في الآية 187 من سورة آل عمران {**فنبذوه وراء ظهورهم**}، قائلا: "المراد بالظهر مقابل الأمام فهم نبذوه وراء ورائهم مبالغة في النبذ"[29]. كما نجده في تحديده لوزن كلمة التابوت في قوله تعالى في سورة البقرة: {**وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (248)**}، يستدل بجواب الزمخشري حول سؤاله عن وزن التابوت. يقول الزمخشري: "فإن قلت ما وزن {التابوت}؟ قلت: لا يخلو أن يكون فعلوتا أو فاعولا، فلا يكون فاعولا لقلته نحو: سلس وقلق ولأنه تركيب غير معروف، فلا يجوز ترك

المعروف إليه، فهو إذا فعلوت من التوب وهو الرجوع"[30]. ويضيف "البسيلي" على قول الزمخشري شارحا وموضحا أنه أراد "إذا كان فاعولا تكون التاء أصلية، ويلزم فيه أن تكون فاء الكلمة، ولامها حرفا واحدا كما في "سلس"، و"قلق" ويلزم عليه اجتماع المثلين، وهو قبيح في علم التصريف، لأنه أوله تاء، وآخره تاء، وإذا كان على وزن "فعلوت" تكون تاؤه زائدة؛ لأنها ليست في موضع الفاء ولا العين، ولا اللام فهي زائدة فلهذا كان "فعلوت" أحسن"[31]. وهكذا يتجلى مدى عناية "البسيلي" بالمفردة القرآنية من خلال وقوفه على معانيها اللغوية، وتحديده لأصلها الاشتقاقي وميزانها التصريفي.

**2-وقوفه على مختلف الأوجه المتعددة للإعراب في الآية القرآنية:**

الإعراب سمة بارزة في الكتاب، وقد اعتنى به المفسر أيّما عناية؛ لأنه يقود إلى إدراك المعاني القرآنية، واستنباط الأحكام التفسيرية والعقدية والفقهية، فضلا عن الثراء الدلالي والتنوع اللغوي الذي يمنحه تعدد هذه الوجوه الإعرابية، وبهذا فقد شكل تنوع هذه الوجوه وتعددها ظاهرة لافتة في "التقييد الكبير" يمكن التمثيل لها ببعض الأمثلة المتنوعة، ومنها:

يذكر "البسيلي" عند تفسيره للآية 30 من سورة البقرة:{**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**} أن الله عز وجل "قدم المجرور هنا، وأخره في سورة (**ص**) {**إنا جعلناك خليفة في الأرض**} **الآية: 26**، وذلك لوجهين: الأول أن أحد أسباب التقدم "الشرف". وكان آدم حينئذ معدوما، والأرض موجودة، والموجود أشرف من العدم، والمخاطب في سورة **ص** داود عليه السلام، وهو أشرف من الأرض ضرورة. الثاني: أن هذه الآية خرجت مخرج الاعتناء بالأرض بجعل الخليفة فيها؛ لإزالة الفساد عنها، وآية **ص** في معرض التشريف؛ لداود فقدم فيها ما يقتضي التشريف، وهو الخلافة"[32].

وذكر في تفسيره للآية 13 من سورة آل عمران {**قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ**} بعض الأوجه الإعرابية، والتخريجات النحوية، اعتمد عليها في إجراء تأويلاته وفي إيجاد الأجوبة الشافية لأسئلته الافتراضية، حيث يقول: "في الآية سؤالان: الأول: أن المطابقة في كلام العرب معتبرة، وهو نوع من أنواع البديع فالأصل أن يقال: فئة تقاتل في سبيل الله، [وأخرى تقاتل في سبيل] الطاغوت، أو فئة مؤمنة، وأخرى كافرة، فلا بد في العدول عن هذا من حكمة. وما هي؟ وجوابه: أنه لو قيل: فئة مؤمنة لما لزم أن يكون قتالها في سبيل الله، وقوله: {**فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ**} مستلزم للإيمان،

المجلد 11 / العـدد: 01 (2025)، ص ..- ..
ISSN: 2437-0282
EISSN 2830-8743

والجهاد، ولو قال: وأخرى تقاتل في سبيل الطاغوت لما أفاد أنها كافرة إذ لعلها مؤمنة، وقصدت العدوان، والظلم، فلما قال: كافرة استلزم القتال بدلالة قوله: {**التقتا**} فاستلزم استصحاب الكفر. السؤال الثاني: لمَ عبر في الأول بـ"الفعل" وفي الثاني بـ"الاسم" وهلا قيل: فئة مقاتلة في سبيل الله، وأخرى كافرة، أو فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى تكفر!؟. والجواب من وجهين: الأول: أن القتال أمر فعلي متجدد فناسب التعبير عنه بالفعل المضارع، والكفر أمر اعتقادي قلبي فهو ثابت، فناسب التعبير عنه بالاسم المقتضي؛ للثبوت. الثاني: أن في الآية حذف التقابل أي: فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله، و"أخرى" كافرة تقاتل في سبيل الطاغوت"[33].

وفي هذا السياق كذلك نجده يعلل استعمال الله عز وجل للماضي والمضارع في الآيتين 15 و16 من سورة آل عمران،{**قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (15) الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (16)**}. إذ يقول: "فإن قلت: لمَ عبر عن قولهم بالمضارع فقال: {**الَّذِينَ يَقُولُونَ**} وقال: وقيل: {**لِلَّذِينَ اتَّقَوْا**} بلفظ الماضي؟. فالجواب: أن المطلوب تحصيل التقوى فأتى بها بصيغة المضي إشعارا بتأكد الأمر بها، والمبادرة إلى فعلها كأنها واقعة. والدعاء المطلوب أسند: لأمته لكثرة الذنوب فهو مأمور بتكرر الاستغفار منها في كل وقت. وأيضا فالإيمان وقع منهم في الماضي لقولهم: {آمنا}، ونقول التقوى هي تفسير الإيمان"[34].

ومن ترجيحاته في هذا الباب نذكر مخالفته لأبي حيان عند تفسيره للآية 153 من سورة آل عمران {**إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (153)**}. فإذا كان أبو حيان قد ضعف كون العامل {إذ} اذكر مقدر، بأن اذكر مستقبل و{**إذ تصعدون**} ماضٍ[35]!. فإن "البسيلي" يجيب عن ذلك مرجحا، بمسألتين[36]:

الأولى: أنه عامل فيه عمل الفعل في المفعول به لا عمله في الظرف.

الثانية: أنه عامل فيما يتعلق به أي: اذكر حالكم {**إذ تصعدون**}.

ومن الأوجه الإعرابية والتخريجات النحوية التي ذكرها عند تفسيره للآية 23 من سورة آل عمران: {**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ**}.يقول: "{**وَهُم مُّعْرِضُونَ**}. إماأن المراد: وحالهم، وشأنهم الإعراض

بدليل إتيانه بلفظ الاسم، والأول بلفظ الفعل، أو المراد: أنهم يتولون عن النبي صلى الله عليه وسلم ويعرضون عن الإيمان". ثم يشرع بعد ذلك في استعراض الأوجه الإعرابية المحتملة[37]:

أقوال ابن هشام المصري: عطف الجملة الاسمية على الفعلية، وبالعكس فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: الجواز مطلقا، وهو المفهوم من قول النحويين في باب الاشتغال في مثل: "قام زيد وعمرو أكرمته" إن نصب "عمرو" أرجح؛ لأن تناسب الجملتين المتعاطفتين أولى من تخالفهما.

الثاني: المنع مطلقا حكى ابن جني، ويلزم إيجاب النصب في مسألة الاشتغال السابقة إلا أن تجعل الواو للاستئناف.

الثالث: لأبي علي يجوز في الواو فقط نقله عنه أبو الفتح في "سر الصناعة"، وبنى عليه منع كون الفاء في "خرجت فإذا الأسد حاضر" عاطفة.

وعلى هذا الأساس، فقد شكل الحضور القوي للإعراب مبحثا مهما في الكتاب يمكن أن ينهض -لوحده- موضوعا مستقلا للبحث، ولعل هذه الميزة راجعة بالأساس إلى ارتكاز "البسيلي" الواضح على الإعراب، وعلى استحضار مختلف الأوجه الإعرابية للآية الواحدة، وكل ذلك أسعفه في تحديد معاني الكلمات، وفي الوصول إلى تفسير الآيات القرآنية.

**3-توضيح الفروقات اللغوية والدلالية بين الكلمات، وبيان دقة استعمال الألفاظ القرآنية:**

اهتم "البسيلي" بتوضيح الفروقات اللغوية والدلالية بين الكلمات القرآنية في تفسيره، فكثيرا ما تجده يذكر المفردة اللغوية في الآية التي هو بصدد تفسيرها، ويستحضر في مقابلها استعمالات ومفردات أخرى في آيات وسور أخرى -كذلك- من القرآن الكريم، هي من قبيل الألفاظ المرادفة لها أو القريبة من معناها، كما أنه كثيرا ما يعبر متسائلا عن سبب اختيار الله عز وجل لهذه المفردة بدل الأخرى، ولماذا وردت هذه الكلمة في هذا المقام مفردة وجمعا في مقام آخر، أو العكس، وفي كل هذه الحالات كان يجيب انطلاقا من اجتهاداته وتأويلاته اللغوية، أو من خلال أقوال مشايخه وسابقيه، وكل ذلك بهدف إبراز دقة المفردة القرآنية، وأن كل كلمة جاءت بدقة متناهية خدمة لمعنى خاص وتأدية لوظيفة معينة داخل السياق القرآني. ومن أمثلة ذلك إبانته للفرق بين "أوتي" و"أنزل" في قوله تعالى: {**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (136)**}. يقول: "عبر أولا: بـــ"الإنزال"، وثانيا:

ISSN: 2437-0282
EISSN 2830-8743

بـ"الإيتاء"، لأن معجزة من ذكر معه الإنزال معظمها الوحي، ومن ذكر معه الإيتاء ما ظهر على يديه من المعجزات الفعلية"[38].

وعند تفسيره للآية 286 من سورة البقرة يذكر الفرق بين كسب واكتسب: {**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ (286)**}، حيث يقول: "...وذكر ابن عطية، والزمخشري وجه المغايرة بين فعلي {كسب} و{اكتسب}، وهما متقاربان، وتقرُّرُ ما قال ابن عطية: أن المكلف بفعل الطاعات مستحضر، للثواب عليها. فيسهل عليه أمرها من غير تكلف طبيعي فلا وازع له عن فعلها، وفاعل المعصية يستحضر العقوبة عليها في الدار الآخرة، وشهوته تحمله عليها، وتكلفه فعلها، وتوجب معاندته، ومدافعته، للوازع الديني...[وأما الزمخشري فيرى] أن الشر مما تشتهيه النفوس، وتأمر به فهي في تحصيله أعمل، وأقوى اجتهادا، فجعلت مكتسبة، ولما لم تكن كذلك في الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الفعل، والتكلف...[ويضيف ما حكاه ابن الخمي عن الزجاج] أنه يقال: جزيته في الخير، وجازيته في الشر. فيستعمل فعل الزيادة في الشر، وفعل النقص في الخير، ومنه {**لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ**} استعمل الفعل الذي فيه الزيادة في الشر، والذي لا زيادة فيه في الخير"[39]. وبهذا يتضح أن "البسيلي" يفرق بين معنى كسب الذي يستعمل في الخير، وبين معنى اكتسب الذي يستعمل في الشر.

ومن الفروقات اللغوية التي ذكرها، الفرق بين مجيء كلمة معدودات بالجمع في الآية 24 من سورة آل عمران: {**ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ(24)** }، وبين مجيئها مفردة في الآية 80 من سورة البقرة: {**وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (80)**}؛ إذ يقول: "فالجمع بناء على أن كل يوم موصوف بكونه معدودا، والإفراد بناء على أن المعدود مجموعها، لا يقال: يلزم على هذا كون الواحد معدودا وهو ليس بعدد؛ لأن ذلك في اصطلاح أهل الحساب، وما مرادنا إلا أنه كقوله تعالى: {**وشروه بثمن بخس دراهم معدودة**} يوسف/20. بالإفراد إشارة إلى أن تلك الأيام قليلة، والجمع إشارة إلى أن كل يوم منها في نفسه موصوف بالقلة، والقصر فهو أبلغ من وصف جميعها بالقلة، وأشار إليه الزمخشري في سورة البقرة[40]، وأيضا فاليوم، وإن كان واحدا باعتبار وصف اليومية فهو متكثر متعدد باعتبار أزمنته، وساعاته"[41].

وقد ذكر الرازي في تفسيره كلاما تفصيليا لهذه المسألة، في أثناء تفسيره لقوله تعالى:{**إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً**} من سورة البقرة/80، نكتفي بذكر ما يناسب المقام، وهو الفرق بين {**معدودة**} في البقرة و{**معدودات**} في آل عمران. يقول: "ذكر ههنا (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة). وفي آل عمران (إلا أياما معدودات) ولقائل أن يقول لم كانت الأولى معدودة والثانية معدودات والموصوف في المكانين موصوف واحد وهو "أياما" ؟ والجواب أن الاسم [إن] كان مذكرا فالأصل في صفة جمعه التاء يقال كوز وكيزان مكسورة وثياب مقطوعة وإن كان الأصل في صفة جمعه الألف والتاء يقال جرة وجرار مكسورات وخابية وخوابي مكسورات إلا أنه قد يوجد الجمع بالألف والتاء فيما واحده مذكر في بعض الصور نادرا نحو حمام وحمامات وجمل سبطر وسبطرات وعلى هذا ورد قوله تعالى (فى أيام معدودات) و(فى أيام معلومات) فالله تعالى تكلم في سورة البقرة بما هو الأصل وهو قوله (أياما معدودة) وفي آل عمران بما هو الفرع"[42].

وذكر السيوطي في إتقانه لدى حديثه عن النوع الثالث والستين الذي خصصه للآيات المشتبهات: "قوله تعالى: {**وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة**}**[البقرة:80]**. وفي آل عمران {**معدودات**}**[24]**. قال ابن جماعة: لأن قائل ذلك فرقتان من اليهود **إحداهما** قالت: إنما نعذَّب بالنار سبعة أيام عدد أيام الدنيا، **والأخرى** قالت: إنما نعذب أربعين، عدة أيام عبادة آبائهم العجل. فآية البقرة تحتمل قصد الفرقة الثانية حيث عبر بجمع الكثرة، وآل عمران بالفرقة الأولى حيث أتى بجمع القلة"[43].

أما الدكتور فاضل صالح السامرائي، وهو من المعاصرين فقد بسط القول في هذه النكتة اللغوية، في أكثر من موضع من كتبه، حيث ذكر في كتابه "التعبير القرآني"، بعدما استحضر الآيتين من سورتي البقرة وآل عمران، أن الله عز وجل: "قال مرة (معدودة) ومرة أخرى: (معدودات) مع أن القصة واحدة. والحقيقة أن السياق في الموضعين مختلف. وإيضاح ذلك أن المفرد المؤنث إذا وقع صفة للجمع دل على أن الموصوف أكثر منه، إذا كانت صفته جمعا سالما، فإنك إذا قلت: (في بلدنا جبال شاهقة) دل ذلك على أن عندكم جبالا كثيرة بخلاف ما إذا قلت: (في بلدنا جبال شاهقات) فإنه يدل على القلة. والأنهار في قولك: (أنهار جارية) أكثر منها في: (أنهار جاريات) وعلى هذا فالأيام المعدودة أكثر من الأيام المعدودات وسبب ذلك أن المقامين مختلفان. أما الأولى فالكلام فيها على بني إسرائيل وقد أكثر من الكلام عليهم وفي

المجلد 11 / العـدد: 01 (2025)، ص ..- ..
ISSN: 2437-0282
EISSN 2830-8743

صفاتهم السيئة فذكر أنهم يحرفون كلام الله وهم يعلمون. قال الله تعالى: {**أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (75) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ(76)** }[البقرة]. فهم يعرفون جرمهم ويقرون به ويعملون به عن قصد وإصرار وقد توعدهم الله بالعذاب الشديد فقال: {**فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ (79)**}[البقرة].إذن فهم يعملون بالجرم عن قصد ويحرفونه عن علم ليشتروا به ثمنا قليلا. وإذن فهم يعلمون أن الله معاقبهم على هذا الجرم فقالوا: (إلا أياما معدودة) فجاء بصيغة الكثرة. وليس الأمر كذلك في آية آل عمران فقد قال: {**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ (23) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ24()**}. فليس في آية آل عمران مثل الجرم المذكور في سورة البقرة من ارتكاب الذنب العمد وتحريف كلام الله، ففرق كبير بين المقامين. فجاء بزمن العذاب الطويل للجرم الكبير، والقليل للذنب القليل فقال (معدودات) بصيغة جمع القلة في آل عمران، بخلاف آية البقرة فسبحان الله رب العالمين"[44].

وفي هذا السياق –كذلك- برع "البسيلي" في الكشف عن بعض اللطائف القرآنية عند تفسيره لقوله تعالى من سورة آل عمران: {**مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (67)**}، حيث وقف على بعض النفائس اللغوية والاختيارات الدقيقة التي يتفرد بها التعبير القرآني على طريقته المخصوصة والمعتادة دائما، وهي طرح السؤال، ثم الإجابة عنه بعد ذلك. يقول في تفسير هذه الآية: "فيه أسئلة الأول: لم قال: {**وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**}. ولم يقل: وما كان مشركا، كما قال: {**مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا**}أو يقول: وما كان من اليهود، ولا من النصارى كما قال {**من المشركين**}**!؟.** وجوابه: أن اليهودية، والنصرانية طريق واحد، لأن لهما كتابا يرجعان إليه، وطرق الشرك كثيرة متشعبة لا تنحصر، فناسب الجمع وهو جواب الزمخشري في قوله تعالى: {**وجعل الظلمات والنور..**}[الأنعام:1]، قال: لم جمع {**الظلمات**}، وأفرد {**النور**}؟. فأجاب: بأن الظلمات كثيرة مختلطة، والنور واحد. الثاني: المناسب أن يقال: ما كان يهوديا أو نصرانيا وما كان من المشركين، ولكن كان حنفيا مسلما، فيذكر النفي مع النفي ثم يثبت!. وأجيب بوجهين: الأول: لما كانت الآية ردا على اليهود،

والنصارى، وكان الكلام معهم نفى أولا كونه منهم، ثم أثبت له الإسلام؛ لأنه الأهم، والمقصود بالذات ثم بالغ فنفى عند الشرك. الجواب الثاني: لما كان دين اليهود والنصارى يشبه دين المسلمين في الاستناد؛ للكتب، والشرك ليس كذلك ذكر الثلاثة أولا، وأخر الشرك. السؤال الثالث: لم أثبت ياء النسب في يهودي، ونصراني وحذفها من حنيف؟ والجواب: أن هذا هو المناسب؛ لادعاء اليهود، والنصارى أنه على دينهم، وأنه نسب إليه، والمسلمون ما ادعوا ذلك وإنما قالوا: إنهم على دين مثل دينهم"[45].

انطلاقا من هذه الأمثلة، التي ساقها "البسيلي" تبرز مدى دقة التعبير القرآني وبراعة نظمه وجمالية أسلوبه، وأن كل تغيير طارئ، أو زيادة أو نقصان، أو تقديم أو تأخير، أو حذف أو ذكر، إنما هو موضوع من أجل تأدية معنى ما، ولخدمة سياق دلالي معين. ولذلك كانت إجابات "البسيلي" عن جملة الأسئلة الافتراضية التي يمكن أن تطرح أو تتبادر إلى أذهان القراء، بغية توضيح هذه الجمالية في التعبير القرآني، وإبانة بلاغة تراكيبه، ودقة انتقاء ألفاظه وكلماته، الأمر الذي يجعلها تعبر عن أحد مظاهر وجوه الإعجاز اللغوي والبلاغي فيه، وتدل على أسرار التعبير الإلهي ولطائفه.

**4-مادة علمية ولغوية أخرى يحفل بها الكتاب:**

آثرنا في هذا البحث أن نتوقف عند هذا الحد من معاينة ورسم الملمح اللغوي في كتاب تفسير التقييد الكبير لأحمد "البسيلي" الذي ألفيناه كتابا حافلا باللطائف اللغوية والنكت القرآنية التي يصعب الإلمام بها جميعا، فضلا عن أن المقام لا يتسع للإحاطة بالمادة اللغوية الغزيرة فيه، لذلك ارتأينا تأجيل الحديث عن بعض المباحث -في الكتاب-لها علاقة بالدرس اللغوي- إلى دراسات علمية وأكاديمية أخرى، يمكنها أن تنهض بهذه المهمة البحثية، وتتناول أحد هذه المباحث مستقلا. ومن جملة هذه المباحث التي يزخر بها هذا التفسير، مبحث البلاغة، التي لا يمكن للمفسر أن يستغني عنها لدى تعامله مع كتاب الله عز وجل، وهو الأمر الذي يمكن للدارس أن يصادفه مبثوثا في ثنايا الكتاب، ومع كل آية -تقريبا- ينبري "البسيلي" إلى تفسيرها، إلا وتلفيه يذكر نكتة بلاغية، أويثير قضية من قضاياها المنتمية إلى أحد أبوابها الثلاثة (المعاني، البيان، البديع).

ومن هذه المباحث أيضا، مبحث القراءات القرآنية التي يشير إليها المفسر، كلما دعت الضرورة، ويستحضر أنواعها، وأهم القراء الذين قرأوا بها. من ذلك ما ذكره حول من قرأ

ISSN: 2437-0282
EISSN 2830-8743

بتسكين الهمزة المتحركة في القرآن الكريم، يقول: "وقع تسكين الهمزة المتحركة في القرآن في أربعة مواضع:

أحدهما: {**وجئتك من سبأ بنبأ يقين**}[**النمل: 22**] قرأها أبو عمرو، والبزّي بفتح الهمزة. وروي عن قنْبل إسكان الهمزة إجراء للوصل مجرى الوقف.

الثاني: **قوله تعالى:** {**ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته**} [**سبأ: 14**] قرأها نافع، وأبو عمرو بالألف دون همز، وابن ذكوان بهمزة ساكنة، والباقون بهمزة مفتوحة.

الثالث: قوله تعالى في فاطر: {**ومكر السيىء**}[**43**]. قرأ حمزة بسكون الهمزة إجراء للوصل مجرى الوقف، والباقون بتحريكها.

الرابع: قوله تعالى: {**فتوبوا إلى بارئكم**}[البقرة: 54] وروي فيه عن أبي عمرو الاختلاس وروي عنه الإسكان"[46].

ولعل آخر هذه المباحث اللغوية التي رجع إليها "البسيلي" وأفاد منها في تفسيره، كلام العرب، حيث نجده يستشهد بالشعر القديم في مواضع كثيرة من تفسيره، وذلك من أجل الاحتجاج على إثبات صحة كلمة، أو الاستدلال على قاعدة نحوية، أو تأكيد معنى من المعاني التي جاء بها القرآن الكريم، ومثل هذا الصنيع يؤثر عن ابن عباس رضي الله عنه، الذي كان يرجع إلى الشعر الجاهلي من أجل تفسير القرآن الكريم، وبذلك يمكن لهذا المبحث الطريف أن يتأسس بحثا خاصا ومستقلا -كذلك- كأن يكون -مثلا- من قبيل الشاهد الشعري (اللغوي والنحوي) في تفسير التقييد الكبير.

وعلى هذا الأساس يتوجب علينا دعوة الباحثين والدارسين إلى ضرورة الاهتمام بهذا التفسير النفيس، والنهوض بمهمة العناية الخاصة بمادته العلمية الغزيرة والمتنوعة تصنيفا وتهذيبا وشرحا وتحقيقا، ولاسيما أنه يعد واحدا من التفاسير القرآنية غير المشهورة والمعروفة التي تستحق مزيدا من الاهتمام والاحتفاء، وذلك بهدف استكشاف لطائفه وملحه، والتنقيب عن دُرره ونفائسه، ذلك لأننا-وفي حدود اطلاعنا- لم نعثر على دراسة مطبوعة سوى على التحقيق الذي قام به الدكتور "عبد الله بن مطلق الطوالة"، الذي وإن كان عملا مطبوعا، إلا أنه يقتصر على تفسير سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران، وهو في الأصل عبارة عن رسالة دكتوراه أعدها الباحث بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية[47]، وقد أقمنا بحثنا هذا بالاعتماد على هذا

التحقيق، لذلك وجبت الإشارة إلى أن القارئ قد يجد معظم المادة اللغوية المستخلصة من الكتاب مبنية على النصوص التفسيرية لسورة البقرة وآل عمران.

من هذا المنطلق جاءت دعوتنا من أجل التصدي لتحقيق هذا التفسير كاملا، دون الاقتصار على تحقيق بعض السور، أو الأجزاء من تفسير الإمام "البسيلي" للقرآن الكريم، ولعل ذلك كان ديدن الرسائل العلمية الجامعية[48]، والدراسات البحثية الأكاديمية في الجامعات الإسلامية وكليات الشريعة، وبالأخص في بلدنا الجزائر، إذ يمكن لها أن تتحمل المسؤولية كاملة، وتأخذ على عاتقها مهمة النهوض بهذا الدور الريادي، وهذا الإنجاز العظيم.

ويمكن الإشارة في هذا الصدد إلى ذلك الجهد الكبير الذي قام به مجموعة من الأساتذة والمحققين، حينما أقبلوا على تحقيق تفسير أبي حيان الأندلسي المشهور "بالبحر المحيط"، وتولت دار الرسالة ببيروت-مشكورة-طبع الكتاب الذي وصل عدد أجزائه اثنين وعشرين مجلدا، ومثل هذا العمل يمكن أن يحتذى ويعمم على باقي الكتب التي ما تزال مخطوطة، أو غير مكتملة التحقيق.

**خاتمة الدراسة:**

أخيرا، إذا كان هناك من ملاحظات نقدية تسجل على الكتاب، فإن حسناته قد غلبت وكثرت، ويكفيه أهمية وتميزا أن يدرجه الدارسون والمهتمون ضمن التفاسير اللغوية للقرآن الكريم. لكننا على الرغم من ذلك سجلنا بعض الملاحظات عليه، ومنها أن "البسيلي" كثيرا ما كان ينقل من المصادر بالمعنى، ويتصرف في النصوص تصرفا مخلا أحيانا كثيرة، فضلا عن عدم دقته في النقل في أحايين أخرى كذلك، وقد تأكد لدينا هذا بمجرد العودة إلى هذه المصادر والتحقق منها.

ولئن كان الأمر كذلك، فإننا نلتمس له بعض الأعذار، وهو أن تقييداته التي جمعتها مسوداته كان مصدرها الأول المشافهة والسماع، مما كان يدونه أو يحفظه في مجالس ودروس شيخه ابن عرفة، وشيء طبيعي وفق هذه الطريقة في التأليف أن يقع منه ذلك.

ومما سجلناه أيضا، أنه كان كثير النقل والأخذ عن أئمة وعلماء التفسير اللغوي الكبار أمثال: الزمخشري والفخر الرازي وابن عطية وأبي حيان، وشيخه ابن عرفة، حيث تجده ينقل عنهم نصوصا، وأقوالا طويلة، قد تستغرق بضع صفحات، وبعد استعراضه لهذه الآراء والأقوال

المجلد 11 / العـدد: 01 (2025)، ص ..- ..
ISSN: 2437-0282
EISSN 2830-8743

المجموعة حول تفسير المسألة أو الآية الواحدة من القرآن الكريم، تجده يتبعها بشروحاته وتعليقاته عليها، وكثيرا ما يعبر عن رأيه في التفسير بعبارة (وأجيب أو وجوابه أو والجواب عنه...).

ختاما يمكن القول: بأنه يبدو جليا -انطلاقا مما سبق عرضه- أن الكتاب ينحو منحى لغويا واضحا وبارزا، وليس أدل على ذلك من غزارة المادة اللغوية وتشعبها وتنوعها فيه، وأيضا من خلال استشهاد صاحبه بأقوال علماء وجهابذة علوم اللغة القدامى، ورجوعه إلى كتبهم ومصادرهم، وإفادته من مجالسهم ودروسهم. كما أن الكتاب وإن كان يعد جمعا وتقييدا، إلا أننا يمكن أن نصنفه واحدا من أمتع وأنفس التفاسير اللغوية بالنظر إلى النكت والفوائد والخواطر واللطائف الجليلة التي قيدها "البسيلي"، وأفادها من مجالس شيخه ابن عرفة، أو استطاع استنباطها من مؤلفات المفسرين واللغويين القدماء، أو عن طريق تأويلاته واجتهاداته الفردية، وهو بهذا التميز يمكن أن يغني طالب العلم عن الاطلاع على كثير من التفاسير في هذا الباب؛ لأن الكتاب وكأنه وضع بشكل خاص من أجل تقييد ما جاء في التفاسير السابقة من نكت ولطائف.

[1]:من باب الأمانة تجدر الإشارة إلى فكرة الاشتغال على شخصية العالم والمفسر والشيخ العلامة الإمام أحمد البسيلي، التي كان وراءها صديقي وزميلي بالجامعة الأستاذ "عبد الصمد شريفي" الذي لم يبخل علي، حين استشرته في الاشتغال على شخصية جزائرية لمعت في مجال التفسير اللغوي للقرآن الكريم، وقد نصحني -مشكورا- بكتاب "التقييد الكبير" للعالم الكبير أحمد البسيلي فجزاه الله عني كل خير. كما أسأله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يثيبنا عليه، ويجازينا خير الجزاء.

[2]: أحمد بن محمد البسيلي، التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد، تح، عبد الله بن مطلق الطوالة، ط1، 1992، 1/ 316.

[3]: المصدر نفسه، 348/1.

[4]: المصدر نفسه،1/ 316، 318.

[5]: المصدر نفسه، 2/ 608.

[6]: الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح، خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 2009، ص. 142.

[7]: البسيلي، المصدر السابق، 1/ 322.

[8]: المصدر نفسه، ص. 259.

[9]: المصدر نفسه، 2/ 463، 464.

[10]: المصدر نفسه، 2/ 472.

[11]: أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق، عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993، 6/ 208، 209.

[12]: البسيلي، المصدر السابق، 2/ 582.

[13]: المصدر نفسه، 2/ 487، 488.

[14]: المصدر نفسه، 1/ 277.

[15]: المصدر نفسه، 1/ 427، 428، 429.

[16]: يعلق الزمخشري عن معنى معدودة بالإفراد في سورة البقرة بقوله: "{إلا أياما معدودة} أربعين يوما عدد أيام عبادة العجل". وهي في نظره قليلة؛ لذلك ناسبها استعمال لفظة معدودة بالإفراد. الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 1/ 84.

[17]: البسيلي، المصدر السابق، 2/ 490.

[18]: فخر الدين الرازي، التفسير الكبير ومفاتح الغيب، 152/3، 153.

[19]: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، تعليق: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، بيروت، ط1، 2008، ص. 643.

[20]: فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني، دار عمار، عمان، ط4، 2006، ص. 41، 42. وينظر أيضا، كتابه على طريق التفسير البياني، ج1، جامعة الشارقة، 2002، ص. 18، 19.

[21]: البسيلي، المصدر السابق، 2/ 554، 555.

[22]: المصدر نفسه، 1/ 391، 392.

[23]: تفسير القرآن الكريم للإمام البسيلي من أوله إلى نهاية سورة آل عمران، تحقيق ودراسة عبد الله بن مطلق الطوالة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (رسالة دكتوراه 1404ه).

[24]: توجد بعض الرسائل العلمية في بعض الجامعات العربية نهضت بمهة تحقيق بعض الأجزاء أو السور من هذا التفسير، وهي في حدود علمي واطلاعي لا تزال مخطوطات حبيسة المكتبات الجامعية والحكومية، ما عدا رسالة عبد الله بن مطلق الطوالة، ومن هذه الرسائل العلمية نذكر: التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد لأحمد بن محمد البسيلي(ت848هـ) من سورة مريم إلى سورة الفلق ومعه تفسير

ISSN: 2437-0282
EISSN 2830-8743

ابن عرفة برواية الأبي -الجزء الثاني- دراسة وتحقيق، بوشعيب متقي، (رسالة دكتوراه، دار الحديث الحسنية، المملكة المغربية، 2011)، والتقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد، لأحمد بن محمد البسيلي (ت848هـ)، من سورة الفاتحة إلى الآية 85 من سورة يوسف، ومعه تفسير ابن عرفة برواية الأبي، من الآية 85 من سورة يوسف إلى آخر سورة الكهف، الجزء الأول، تقديم وتحقيق، محمد الغربي (رسالة دكتوراه، دار الحديث الحسنية، المملكة المغربية، 2011).

**قائمة المصادر والمراجع:**

-أبو بكر الرازي، التفسير الكبير ومفاتح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1981.

-أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق، عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993.

-أبو العباس البسيلي، نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد، ج1 و2، وبذيله تكملة النكت لابن غازي العثماني المكناسي، تقديم وتحقيق: محمد الطّبراني، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2008.

-أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، ج1، دراسة وتحقيق: محمد مطيع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2000.

-أحمد بن محمد البسيلي، التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد، (ج1 و2)، تح، عبد الله بن مطلق الطوالة، ط1، 1992.

-بدر الدين بن مالك الشهير بابن الناظم، المصباح في المعاني والبيان والبديع، تح، حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب بالجماميز، القاهرة، ط1، 1989.

-ابن جني، سر صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط2، 1993.

-حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دط، دت.

-الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح، خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 2009.

-سعد غراب، مدخل لدراسة تفسير ابن عرفة الورغمي، ملتقى الامام ابن عرفة، 1976.

-السكاكي، مفتاح العلوم، تح، نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت،ط2، 1987.

-سيبويه، الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988.

-السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، تعليق: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، بيروت، ط1، 2008.
-الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1994.
-عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، ط2، 1980.
-عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح، محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2004.
-ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2001.
-عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين: تراجم مصنفي الكتب العربية، ج1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1993.
-فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني، دار عمار، عمان، ط4، 2006.
-فاضل صالح السامرائي، على طريق التفسير البياني، ج1، جامعة الشارقة، 2002.
-القرافي، توشيح الديباج، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2004.
-القرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، مؤسسة الرسالة، ط1، 2006.
-ابن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تح، محمد كامل بركات، دار الكاتب العربي، 1967.
-محمد بن قاسم مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج1، خرج حواشيه: عبد المجيد خيالي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003.
-محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1994.
-ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، حققه وخرج شواهده، مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، وراجعه سعيد الأفغاني، دار الفكر، دمشق، ط1، 1964.

المجلد 11 / العـدد: 01 (2025)، ص ..- ..
ISSN: 2437-0282
EISSN 2830-8743